حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» إشكالية، أسباب وحلول

Hadith, "*were it not for Eve, no woman would ever betray her husband": Paradox, Causes, and Solutions*

Paradoks, Punca, dan Penyelesaian: Hadis, "*Dan kalaulah tidak kerana Hawa, isteri tidak akan mengkhianati suaminya.*"

محمد أبو الليث الخيرآبادي *

ملخص البحث

حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»؛ حسب رؤيتنا من الأحاديث المشكلة، لما أثير حوله من إشكاليات في هذا العصر، واتُّخِذَ ذريعةً لتشويه صورة الإسلام في نظر العالم عامة، وفي نظر المرأة خاصة. فتناوله البحث من جانب ثبوته فتوصَّل إلى أنه صحيح. ومن جانب معناه، فتوصَّل إلى أن معناه صحيح. ومن جانب الإشكالية فيه، فادُّعي أنه مخالف للقرآن، وأنه من الإسرائيليات، واكتشف البحث أنه ليس بمخالف للقرآن بل أنه أخبر بشيء سكت عنه القرآن، ومن المجمع عليه صلاحية السنة للزيادة على القرآن. وأما كونه موافقاً لبعض الإسرائيليات فهذا دليل على أن تلك الرواية الإسرائيلية صحيحة، فلا إشكال. وتوصَّل البحث في آخر المطاف إلى أن المشكلة الأساسية ليست في صحة هذا الحديث، وإنما المشكلة في فهم الناس، وتعاملهم معه.

الكلمات الرئيسية: لولا حواء، خيانة حواء، طبيعة النساء، معصية آدم، مشكل الحديث.

Abstract

According to our view the Prophet's tradition which states "were it *not* for *Eve*, no woman would ever betray her husband" is among those narrations categorized as problematic traditions. There are several interpretations of this tradition that may be used in our times as a pretext for smearing the image of Islam in the eyes of the world in general and in the eyes of women in particular. This research confirms that it is an authentic report from the angle of narration as well as from that of meaning. It is claimed that this traditions is in conflict with the Qur'an and also it is based on Judeo-Christian traditions (israeliyyat). The research found out that the narration is not against the Qur'an; it rather informs about what the Qur'an is silent. There is consensus over the fact that the Prophetic traditions are able to serve as supplementary to

---

* دكتوراه في الحديث من جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1992م، وبروفسور بالجامعة الإسلامية العالمية -بماليزيا.

the Quran. Furthermore, the agreement of the narration in view with some Judeo-Christian traditions proves that the latter is, without any doubt, authentic. The research concluded that the problem regarding the issue of this tradition is not about the validity of the narration, the problem is rather in the understanding of the people and the way they deal with it.

Key Words: If not Eve, Betrayal of Eve, Nature of Women, Adam's Sin, problematic tradition.

Abstrack

Tradisi Nabi yang menyatakan *"Dan kalaulah tidak* kerana Hawa*, isteri tidak* akan mengkhianati suaminya*"* adalah salah satu tradisi yang dikategorikan sebagai problematik. Beberapa tafsiran tradisi ini boleh disalahgunakan untuk merosakkan nama Islam pada pandangan dunia secara umumnya dan khususnya pada pandangan wanita. Kajian ini mengesahkan bahawa repot ini adalah otentik dari sudut narasi dan juga maksudnya. Tradisi ini didakwa bertentangan dengan Al-Quran dan berdasarkan tradisi Yahudi-Kristian(israeliyyat). Kajian ini juga mendapati bahawa narasi ini tidak bertentangan dengan Al-Quran; tetapi menginformasikan apa yang tidak tertera dalamnya. Mengikut konsensus umum, tradisi-tradisi Nabi adalah pelengkap kepada Al-Quran. Selanjutnya dakwaan yang mengatakan tradisi ini adalah selaras dengan tradisi Yahudi-Kristian juga adalah salah satu bukti kukuh bahawa tradisi ini adalah otentik. Kesimplulan kajian ini mendapati bahawa kesahihan narasi ini bukanlah masalah utama, tetapi pemahaman masyarakat mengenainya.

Kata Kunci: Kalau tidak kerana Hawa, peribadi wanita, dosa-dosa Adam, tradisi problematik.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعـــد!

فمنذ أن خلق اللهُ العليمُ بأسرار خلقه؛ المرأةَ، كانت مثار جدل عبر الأمم والديانات ولا تزال، وعانت هذه المرأة ولا تزال تعاني من الاضطهاد والظلم ما لا يعد ولا يحصى، وعلى الرغم من التباين في موقف الأمم والشرائع من القسوة عليها أو الرحمة بها[1]، فإن الإسلام منحها مكانتها الاجتماعية وحقوقها القانونية، بما يتفق مع رسالتها العظيمة التي تتناسب مع طبيعتها التي خلقها الله عليها، لا أحد يستطيع أن ينال منها بالتغيير والتبديل.

---

[1] انظر: فاطمة بنت خليل محمد محسن، **دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة**، ص6 وما بعدها.

وحينما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب والمسؤولية؛ الجزاءَ الأخرويَّ مع كونها أضعف منه خلقة، وأقلَّ تكاليف شرعيَّة، كان ذلك في مقابل واجبات شرعيَّة تختصُّ بها بفطرتها وخلقتها؛ كطاعة الزوج، وصيانة الأنوثة بالحجاب والعفاف. ولهذا، جاء في السنَّة ما يعينها على فهم دورها الأنثويِّ، ويحذِّرها من التهاون به، ويزجرها بزواجرَ شرعيَّةٍ دنيويَّةٍ وأخرويَّةٍ، شأنها في ذلك شأن الأوامر الشرعيَّة كلِّها؛ كالأحاديث الزاجرة عن نكران حقِّ الزوج وجحوده[2]، والهجر لفراشه،[3] أو طلب الطلاق من غير بأس،[4] ونحو ذلك من الأحاديث التي وردت في حقِّها ترغيباً وترهيباً، إلا أن سعادتها تكمن في فهم مغزى تلك الأحاديث وموطنها، لا أن تُتَّخذ سوطاً على المرأة، يُلَوَّح بها أمام ناظريها دون حقٍّ، ولا فقهٍ لمعاني تلك النصوص، أو تُعيَّر بها ويُنْتَقص من كرامتها بسببها، فما هي إلا لتقدير المرأة المؤمنة لا لإهانتها.

ومن هذه النصوص التي اتخذت سوطاً على المرأة، أو أخطأ البعض في فهمها واستعمالها: حديث «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار». فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن».[5] وحديث «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم

---

[2]سيأتي تخريج الحديث فيه.

[3]سيأتي تخريج الحديث فيه.

[4]عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها ريح الجنة» أخرجه الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي، في **سننه**، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، كتاب الطلاق، باب ما جاء في المختلعات، ج3، ص493، رقم1187 وابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، في **سننه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت)، كتاب الطلاق، باب كراهية الخلع للمرأة، ج1، ص662، رقم2055.

[5]أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، في **صحيحه**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير واليمامة، ط3، 1407هـ/1987م)، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ج1، ص116، رقم 298 عن أبي سعيد الخدري ﷺ؛ ومسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، في **صحيحه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، ج1، ص86، رقم79 عن ابن عمر ﷺ.

امرأة».[6] وحديث «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».[7] وحديث «ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها».[8] وحديث «إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور».[9] وحديث «أيما امرأة استعطرت فخرجت، ... فهي زانية».[10] وحديث «إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان».[11] وحديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»،[12] وغيرها مما جاءت به السنّة المطهرة.

وبسبب هذا الخطأ في الفهم، وبتحريضٍ من قِبَل المستشرقين والموالين لهم من المسلمين، ثارت المرأة – والمجتمع العالمي معها – على بعض تلك النصوص الإلهية المتعلقة بها أو بحقوقها، فترفضها المرأة أو تشك في قبولها، اخترنا منها حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» للدراسة في هذا البحث؛ لأنه اتُّخِذَ ذريعةً لتشويه صورة الإسلام في نظر المرأة في جانب، واستعمله الجهلة من المسلمين سوطاً على المرأة، باعتبارها في نظرهم سبباً لإخراج آدم من الجنة، في جانب آخر. وأثاروا حوله عدة شكوك، منها أن هذا الحديث ضد المرأة، يرميها بخيانة زوجها، وتعدت عدواها إلى جميع نساء العالم، مع أن آدم أيضاً عصى ربه، ولكن لا يرمى هو بشيء، كأنه لم

---

[6] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ج6، ص2600، رقم6686.

[7] أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ج5، ص1993، رقم4897، 4898؛ ومسلم –واللفظ له– في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، ج2، ص1059، رقم1436.

[8] أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، ج2، ص1059، رقم1436.

[9] أخرجه الترمذي، في **سننه**، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، ج3، ص465، رقم1160 وحسَّنه.

[10] أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406هـ/1986م)، كتاب الزينة، ما يكره للنساء من الطيب، ج8، ص153، رقم5126. قلت: وهو حسن.

[11] أخرجه الترمذي في **سننه**، كتاب الرضاع، باب بدون عنوان بعد باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، ج3، ص476، رقم1173 وحسَّنه.

[12] وهو حديثنا وسوف يأتي تخريجه.

يفعل شيئاً، كل ما فعلته هي حواء. هذا من جانب. ومن جانب آخر ينتقص الرجل بها امرأته، أو يسفّه رأيها ويحرمها المشورة، أو لا يراعي حالها من مرض أو عذر أو ضيق خاطر، فنتناول هذا الحديث بحثاً وتحقيقاً في المباحث الثلاثة الآتية.

المبحث الأول: نص الحديث وتخريجه ومعناه الإجمالي

المطلب الأول: نص الحديث وتخريجه بطرقه المختلفة

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».[13] هو غريب مطلق في اصطلاح المحدثين؛ إذ لم يروه عن النبي ﷺ غير أبي هريرة ﷺ. وروي عن أبي هريرة ﷺ بخمسة طرق حسب اطلاعي،[14] وهي:

الطريق الأول: طريق معمر، عن همام، عن أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».[15]

الطريق الثاني: طريق عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر».[16]

---

[13] أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، ج2، ص1092، رقم1470/62.

[14] وليس بطريق واحد كما ظن البعض، وهو طريق "همام عن أبي هريرة" كما سيأتي.

[15] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾، ج3، ص1212، رقم3152، وباب قول الله تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً**﴾، ج3، ص1245، رقم3218؛ ومسلم –واللفظ له– في **صحيحه**، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، ج2، ص1092، رقم1470.

[16] أخرجه مسلم –واللفظ له– في **صحيحه**، الموضع السابق، ج2، ص1092، رقم1470؛ وأحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، في **مسنده**، (مصر: مؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت)، ج2، ص349 رقم8575؛ وأبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري ثم الإسفراييني، في **مسنده**، تحقيق أيمن الدمشقي، (بيروت: دار المعرفة، 1419هـ)، ج9، ص246؛ ورقم3653؛ وأبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد

الطريق الثالث: طريق موسى بن عقبة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها الدهر».[17]

الطريق الرابع: طريق روح بن عبادة، ثنا عوف (وهو الأعرابي)، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها».[18]

الطريق الخامس: طريق عوف، عن خِلاَس بن عمرو الهجري، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ مثله عند من خرجه غير الحارث فلفظه «... ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها».[19]

بن جعفر بن حيان الأصبهاني، في **العظمة**، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـ)، ج3، ص64 رقم1018.

[17] أخرجه ابن طهمان، أبو سعيد إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني الهروي ثم النيسابوري، في **مشيخته**، (الرياض: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ودمشق: مجمع اللغة العربية، د. ط، د. ت)، ص23، رقم22. قلت: وهو صحيح على شرط الشيخين.

[18] أخرجه الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، في **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/ 1990م)، ج4، ص194 رقم7341. وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي على ذلك. وتصحفت فيه كلمة "عوف" إلى "عون". وهو عوف الأعرابي.

[19] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج2، ص304 رقم8019؛ وإسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، في **مسنده**، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، 1412هـ/1991م)، ج1، ص94 رقم88؛ والحارث في مسنده كما في **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث** للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، (المدينة المنورة: مركز خدمة السنة، 1413هـ/1992م)، ج2، ص309 رقم492؛ وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي، في **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط4، 1405هـ)، ج4، ص40؛ وابن حذلم، القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب بن داود بن عبد الله بن حذلم الأسدي الدمشقي الأوزاعي، في **مشيخته**، (مخطوط مشتمل على 63 حديثاً، قرص جوامع الكلم الصادر من شركة "أفق")، رقم17. قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد: "صحيح، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه". قلت: قال أحمد: "لم يسمع خلاس من أبي هريرة شيئا" انظر: العلائي، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م)، ص172، رقم175.

لقد عرفنا من خلال اطلاعنا على أحوال رواة طرقه أن كلها صحيحة، ورجالها ثقات، غير الطريق الخامس فهو ضعيف للانقطاع بين خلاس بن عمرو الهجري وأبي هريرة؛ لأنه لم يسمع منه كما قال الإمام أحمد. فالحديث صحيح بطرقه الأربعة الأولى، وضعيف بالطريق الخامس لكنه يرتقي إلى الحسن لغيره بطرقه السابقة.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث عند الأئمة المعتد بهم

ينص ظاهر هذا الحديث على أن حواء خانت زوجها آدم – عليهما السلام–، فاطَّردت الحال في بناتها بحكم نزع العِرْق إليهن. والخيانة التي ارتكبتها حواء لم يرد ذكرها في الحديث، ولكن العلماء المعتدَّ بهم قالوا بأن المراد بتلك الخيانة هي أكلها من الشجرة التي نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها، عقب انخداعها بإغراء إبليس لها، ثم تزيينها الأكل منها لآدم به فأكل هو الثاني منها. وليس المراد بها الخيانة في فِراش؛ فإنه غير معقول في حواء؛ إذ لم يكن آنئذ غير آدم من الرجال، وهو زوجها. ولأن الخيانة في الفِراش لم تقع لامرأة نبي قط، حتى ولا لامرأة نوح، ولا لامرأة لوط الكافرتين اللتين ورد في حقهما في القرآن أنهما خانتا زوجيهما. قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا**﴾ (التحريم: 10)؛ فإن خيانتهما كانت بإبطان الكفر. وقيل: إن خيانة الأولى إنما هي إخبارها الناس بأن نوحاً مجنون، وخيانة الثانية هي دلالتُها قومَها على الضيوف. قال ترجمان القرآن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله: ﴿**فَخَانَتَاهُمَا**﴾: "ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتها".[20] وعنه أيضاً قال: "ما بغت امرأة نبي قط".[21] وقال

[20] أخرجه عبد الرزاق بن همام الصنعاني، في **تفسير القرآن**، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، (الرياض: مكتبة الرشد، 1410هـ)، ج2، ص310؛ وابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، في **الصمت وآداب اللسان**، تحقيق أبي إسحاق الحويني، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ)، ص160، رقم269؛ والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، في **تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج7، ص49، وج12، ص160؛ والحاكم، في **مستدركه**، ج2، ص538، رقم3833. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

[21] أخرجه الطبري في **تفسيره**، ج7، ص49 وسنده صحيح.

الإمام ابن تيمية: "وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش؛ فإنه ما بغت امرأة نبي قط؛ إذ نكاح الكافرة قد يجوز في بعض الشرائع، ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات. وأما نكاح البغي فهو دياثة، وقد صان الله النبي عن أن يكون دُيُّوثاً".[22]

هذا المفهوم الذي ذكرناه لهذا الحديث هو الذي اتفق عليه كلُّ مَن اطلعنا على تناوله بيان معناه من العلماء قديماً وحديثاً. وهم: القاضي عياض (ت544هـ)،[23] والإمام ابن الجوزي (ت597هـ)،[24] والإمام النووي (ت676هـ)،[25] والإمام ابن كثير (ت774هـ).[26] وابن رجب الحنبلي (ت795هـ)،[27] والدميري (808هـ)،[28] والحافظ العراقي (ت826هـ)،[29] وتلميذه الحافظ ابن حجر (ت852هـ)،[30] والحافظ العيني (ت854هـ)،[31] والإمام السيوطي (ت911هـ)،[32] وملا علي القاري (ت1014هـ)،[33]

---

[22] ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (الرياض: مكتبة ابن تيمية، ط2، د. ت)، ج7، ص473.

[23] ذكره النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري الدمشقي، في **شرح صحيح مسلم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج10، ص59، رقم1470.

[24] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن عبد الله القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، تحقيق علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن، د. ط، 1418هـ)، **كشف المشكل**، ج3، ص504.

[25] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج10، ص59، رقم1470.

[26] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت)، ج1، ص78.

[27] ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (الدمام بالسعودية: دار ابن الجوزي، ط2، 1422هـ)، ج2، ص77.

[28] الدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي المصري الشافعي، **حياة الحيوان الكبرى**، (المكتبة الشاملة2 بدون بطاقة)، ج1، ص397.

[29] العراقي، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم الشافعي، **طرح التثريب في شرح التقريب**، تحقيق عبد القادر محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، 2000م)، ج7، ص209-211.

[30] ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، ج6، ص367 رقم3152.

[31] العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار إحياء التراث، د. ط، د. ت)، ج15، ص211.

والمناوي (ت1031هـ)،[34] والقَنّوجي (ت1307هـ)[35] وغيرهم، بعد أن اعتبروا هذا الحديث صحيحاً، لا غبار عليه عندهم، لا في سنده، ولا في معناه. هذا من حيث الإجمال. وأما من حيث التفصيل فأذكر أقوال البعض منهم لصراحتها في الموضوع.

قال الحافظ العراقي (ت826هـ): "ومعنى الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهنها، ونزع العرق إليها، لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس، فزين لها أكل الشجرة فأغراها، فأخبرت آدم بالشجرة، فأكلا منها. وليس المراد خيانة في فراش فإن ذلك لم يقع لامرأة نبي قط، حتى ولا امرأة نوح، ولا امرأة لوط الكافرتان، فإن خيانة الأولى إنما هو بإخبارها الناس أنه مجنون، وخيانة الثانية بدلالتها على الضيف كما ذكره المفسرون. وفيه إشارة إلى التسلي فيما يقع من النساء بما وقع لأمهن الكبرى، وأن ذلك من جبلاتهن وطبائعهن إلا أن منهن من تضبط نفسها، ومنهن من لا تضبط، وفي استحضار ذلك إعانة على احتمالهن، ودوام عشرتهن، والله أعلم".[36]

وقريباً منه ما قال تلميذه ابن حجر (ت852هـ): "وقوله: (لم تخن أنثى زوجها) فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك. فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زيَّن لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول. وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسَّنت ذلك لآدم عُدَّ ذلك خيانةً له. وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث «جحد

---

[32]السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، **الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (المكتبة الشاملة)، ج4، ص80.

[33]ملا علي القاري، علي بن سلطان محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق جمال عيتاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، ج6، ص358، رقم3241.

[34]المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زين العابدين الحدادي القاهري الشافعي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356هـ)، ج5، ص343 رقم7521.

[35]القنّوجي، صديق حسن خان، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، تحقيق محمد سعيد الخن ومحي الدين مستو، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1401هـ/1981م)، ص454.

[36]العراقي، **طرح التثريب في شرح التقريب**، ج7، ص210-211.

آدم فجحدت ذريته».[37] وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن".[38]

ومثله قال المناوي (ت1031هـ): "(لم تخن أنثى زوجها) لأنها أم النساء فأشبهنها، ولولا أنها سنت هذه السنة لما سلكتها أنثى مع زوجها؛ فإن البادي بالشيء كالسبب الحامل لغيره على الإتيان به، فلما خانت سرت في بناتها الخيانة، فقلما تسلم امرأة من خيانة زوجها بفعل أو قول. وليس المراد بالخيانة الزنا حاشا وكلا، لكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وزينت ذلك لآدم مطاوعة لعدوه إبليس عد ذلك خيانة له، وأما من بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها. وفيه إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم لما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، والعرق دساس، فلا يفرط في لوم من فرط منها شيء بغير قصد أو نادراً، وينبغي لهن أن لا يتمسكن بهذا في الاسترسال على هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن".[39]

المبحث الثاني

إشكاليتان في الحديث وحلولهما

لم يختلف أحد من العلماء السابقين في صحته سنداً كما سبق، ومتناً أيضاً إذ لو كان فيه ما يدعو إلى تضعيفه لما سكتوا عليه، ولم يمنعهم من الكلام عليه كونُه مخرَّجاً في أصول الصحيحين كما حصل في بعض أحاديثهما. ولكن الآن وبعد مضي

---

[37] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ... ثم أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه، قال: فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، قال: فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود» أخرجه الترمذي، في **سننه**، كتاب التفسير، باب رقم94 بدون عنوان، ج5، ص267 رقم3076. وقال: "حسن صحيح".

[38] ابن حجر، **فتح الباري**، ج6، ص367 رقم3152.

[39] المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ج5، ص343-344، رقم7521.

أكثر من أربعة عشر قرناً ظهرت لبعض العلماء علةٌ أو عللٌ في هذا الحديث، فرفضوا بها قبوله أو توقفوا عنه، فالإشكالية التي طرحوها حول هذا الحديث هي: 1) أنه مخالف للقرآن. 2) أنه موافق للإسرائيليات. نتحدث عنهما في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: إشكاليتان في الحديث

الإشكالية الأولى أنه مخالف للقرآن

توقف الدكتور القرضاوي عن قبول هذا الحديث بمخالفته للقرآن. يقول: "ونحن لو نطبق عليه مقاييس العلماء في صحة الحديث؛ لأن العلماء قالوا: لكي يكون الحديث صحيحاً لازم يتصل بالسند، رواية العدل التام الضبط من مبدأ السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، يعني لا يكون هناك علة في السند ولا في المتن، وأنا أرى أن هذا الحديث فيه علة أنه ... مخالف للقرآن فلذلك من حقنا أن نتوقف في قبوله".[40]

وكذلك قال الشيخ الغزالي من ضمن حوارٍ جرى بينه وبين خطيبٍ في مسجدٍ: "قال الخطيب له: "النساء منذ حواء إلى اليوم يستحققن الحذر والتأديب، وقد جاء في الحديث: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر». فقلت: "ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة!. والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه! ولكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبةً أمام سيرة الدعوة الإسلامية!".[41]

ورفض د/ محمد عمراني حنشي صاحب الحوار المحضر في مقال له بعنوان "ضعيف الصحيحين" قبول هذا الحديث بمقياس سماه رائزاً، وهو أن لا يخالف الحديث صريح محكم القرآن أو محكم السنة. ورأى أن هذا الحديث مصادم لنص القرآن على ما ورد على غرار ما ورد في العهد القديم؛ لأن كل آيات القرآن التي عرضت لتلك الحادثة تخاطب آدم وحواء معاً، وتذكر إبليس صراحة في التسبب في الغواية، وليس

---

[40] القرضاوي، د. يوسف، **النساء في القرآن**، ضمن برنامج قناة الجزيرة – الشريعة والحياة، الفضائية، 2008/6/15م.

[41] الغزالي، الشيخ محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، (القاهرة: دار الشروق، ط6، د. ت.)، في آخر الكتاب.

حيوان من الحيوانات كالحية على ما ورد في الإسرائيليات، وتُحَمِّل آدم وزوجه معاً تبعات العصيان، إن لم تُحَمِّلها لآدم وحده. ثم قال: "... وبمجرد وجود هذا الخبر الباطل ضمن صحيفة همام بن منبه، وهي واردة بسند واحد: (عبد الرزاق الصنعاني، عن معمر بن راشد، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة) يجعلنا نضعف باقي 137 خبراً التي اشتملت عليها الصحيفة، اللهم إن أتى بعضها من طرق صحاح إلى أبي هريرة من غير طريق همام بن منبه[42]، وهذا يحيلنا على 50 خبراً أخرجها البخاري بهذا السند في صحيحه، و81 خبراً أخرجها مسلم في صحيحه، وهو ما سيدفعنا إلى إعادة النظر فيها (أي الخمسين خبراً عند البخاري، والأحد والثمانين خبراً عند مسلم)، لنرى هل توبع فيها همام من طرف أحد الرواة الثقات العدول عن أبي هريرة أم لا؟".[43]

الإشكالية الثانية أنه من الإسرائيليات

يرفض الشيخ الغزالي هذا الحديث لأنه عنده من أكاذيب التوراة: فقد تقدم قوله في الرد على خطيب المسجد: "ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة!".[44]

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقاته على تفسير ابن كثير: "دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة!! يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا، ثم اجترؤا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء، وتصويرهما في صور قبيحة منكرة، جرأةً منهم على الدين، واستهزاءً بأول النبيين، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقولهن أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون".[45]

والشيخ أحمد محمد شاكر لم ينقد الحديث صراحةً، ولكنه نقده إشارةً، وجعله "قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب".

---

[42] وحديثنا من الروايات التي رواها غير همام أيضاً عن أبي هريرة كما تقدم.

[43] موقع الحوار المحضِّر، مقال "ضعيف الصحيحين" السبت 26 يوليو 2008م (www.alhiwar.org/ar/content/view/79/2/). وعرفنا أن حديثنا هذا جاء من غير هذا الطريق أيضاً.

[44] الغزالي، الشيخ محمد، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، (القاهرة: دار الشروق، ط6)، في آخر الكتاب.

[45] أحمد محمد شاكر، **عمدة التفسير**، (مكة المكرمة: دار الوفاء، ط2، 1426هـ/2005م)، ج1، ص136.

المطلب الثاني: حلول الإشكاليتين

نحاول حل هاتين الإشكاليتين بطريقتين، وهما:

الطريقة الأولى: وهي على افتراض أن الحديث يتحدث عن طبيعة النساء بصفة عامة وهذه الطريقة للشيخ بيطار يقول:

وأما خيانة حواء لزوجها فيما بدأت به وزيَّنت له من الأكل من الشجرة المنهي عنها، فالخيانة اسم جنس شامل لجميع أنواعها، وتزيينُ حواء لآدم الأكل من هذه الشجرة الضارة هو نوع منها. ثم توسَّعت بنات حواء في الخيانة، وارتكبن منها كل قبيح كما هي عادة البشر وطبيعة المجتمع في التفنن بكل نافع وضار على تراخي الزمن، وتجدد الشئون، واشتداد البواعث، وتولد المصالح والمفاسد، وتنوع البشر إلى غوي ورشيد، وانقسامهم إلى شقي وسعيد، وابتلائهم بسوء التربية وفساد العشرة والتقليد.

"وهل أنا إلا من غَزِيَّةٍ، إن غوتْ غويتُ، وإن تَرْشُد غزية أَرْشُدُ"

انتهى كلام الأستاذ بيطار.[46]

قال الشيخ القصيمي شارحاً لكلام الشيخ بيطار هذا بقوله:

أما الشطر الآخر من الحديث، وهو «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها» فبيان قوله فيه حفظه الله أن طبيعة النساء واحدة، واستعدادهن واحد في الخلقة والقابلية، لا فرق بين حواء وغيرها من اللائي جئن بعدها. وقد خلقت حواء وهي أم النساء قابلة للخيانة والخطأ، فخلقت بناتها مثلها في ذلك الاستعداد والقبول، وفي تلك الخلقة والصبغة، لا تفاوت بين أفراد النساء في ذلك. ولو أن حواء خُلِقَتْ غيرَ قابلة لذلك لَمَا وقع منها شيء مما ذكرنا؛ لأنها غير قابلة له كما خُلِقَتِ الملائكةُ غيرَ قابلة للعصيان، ولكانت بناتها غير قابلات ولا مستعدات لشيء منه، فلم يقع منهن شيء؛ لأن الطبيعة واحدة. وعلى هذا قيل: «ولولا حواء ما خانت امرأة زوجها» أي لو خلقت غير قابلة للخيانة لكانت بناتها مثلها غير قابلات للخيانة، وإذا لم تكن حواء ولا بناتها قابلة للخيانة لم تقع منهن، وهذا بيِّنٌ. والحديث يشرح نظريةً من نظريات علم النفس، هي أن الاستعداد الفطري في النوع الإنساني واحد في الجديد والقديم. فاستعداد الإنسان الفطري في القرون المظلمة الوسطى

---

[46] نقله عنه القصيمي، عبد الله بن علي النجدي، في **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، (نشره المؤلف نفسه، 1417هـ/ 1996م)، ص11-12. قصدت من نقل كلام الشيخ بيطار كاملاً كيلا يفوتني شيء مهم إذا اختصرته.

مثل استعداده في القرن العشرين. واستعداد الشرقيين المغلوبين على أمرهم المستعمرين من جميع نواحي الاستعمار مثل استعداد الألمانيين والفرنسيين والإنجليز. وإنما يكون التفاوت والاختلاف بالمحيطات والبيئات الحاكمة على الإنسان، ويكون أيضاً باستعمال الاستعداد وهجرانه. ولو أننا أخذنا طفلَ أعلمِ فيلسوفٍ انجليزيٍّ ووضعناه في أحضان أمة غريقة في الجهالة والتأخر لجاء ذلك الطفل مثلهم جاهلاً متأخراً. ولو أخذنا طفلاً من هذه الأمة الجاهلة ووضعناه في بيت ذلك الفيلسوف الإنجليزي لجاء متعلماً مهذباً، وربما فاق فلاسفة الإنجليز أنفسهم. هذا هو بيان كلام الأستاذ، وهذا هو معنى الحديث وشرحه.[47]

ملخص كلام الشيخ القصيمي هو أن النبي ﷺ لم يرد في هذا الحديث بيان خيانة حواء كفرد أنثوي معيَّن، بل أراد بيان أن طبيعة النساء واحدة، وأن استعدادهن واحد في الخلقة والقابلية، لا فرق بين حواء وغيرها من اللائي جئن بعدها. وقد خُلِقَت حواءُ – وهي أم النساء – قابلةً للخيانة والخطأ، فخلقت بناتها مثلها في ذلك الاستعداد والقبول. كأن الشيخ يريد أن يقول: إن النبي ﷺ يريد أن يقول: إن طبيعة النساء – دون استثناء — فيها قابليةٌ لخيانة أزواجهن.

قلت: إن كان الأمر كما قال الشيخ القصيمي فكأنه لم يأت بحلٍّ للإشكاليتين، وهما: مخالفة الحديث للقرآن كما يقولون؛ لأن حواء — حسب تفسير الشيخ — قد خانت ولو كطبيعة أنثوية. وأنه لا زال موافقاً لما جاء في الإسرائيليات، فما زالت هاتان الإشكاليتان باقيتين على حالهما.

الطريقة الثانية: وهي على افتراض أن الحديث يتحدث عن خيانة حواء بذاتها، لا عن طبيعة النساء إذا افترضنا أن هذا الحديث يتحدث عن خيانة حواء بذاتها، فحلول هذه المشكلة كالآتي:

أولاً: أنه ليس بمخالف للقرآن الكريم؛ لأن القرآن لا صدَّق ما أثبته الحديث، ولا كذَّبه، بل سكت عن هذا الأمر سكوتاً كاملاً؛ لأن الآيات الواردة في أكل آدم

[47] القصيمي، **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، ص12-13. قصدت من نقل كلامه كاملاً كيلا يفوتني شيء مهم إذا اختصرته.

وزوجته من الشجرة الممنوعة، إما ذُكِرَ فيها أن الشيطان وسوس إلى آدم وحده، أو وسوس إليهما جميعاً.

قال الله تعالى في سورة طه: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى. فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً**﴾ (طه: 115- 125).

هذه الآيات وإنْ نصت على أن العهد بعدم الأكل من الشجرة كان من آدم، وأن النسيان والعصيان حصلا منه، ولكن العهد كان يشمل زوجته أيضاً، وهي أيضاً نسيت ذلك العهد كما نسيه آدم، وعصت ربها كما عصى آدم، ولكن لما كان آدم خليفة الله، ومن ثَمَّ كان هو مسؤولاً مباشراً عنه لذلك نسب كل هذا إليه، وأما زوجته فهي إما لم تُذْكر، أو ذُكِرت تبعاً لآدم. فلا يستدل بعدم توجيه الخطاب إليها فقط على أنها لم تكن بادئة ومحرِّضة، أو لم تحصل الخيانة منها أولاً. ونسبة هذا كله إلى آدم في هذه الآيات كمثل نسبة الشرك إلى آدم وحواء في قوله تعالى في الأعراف: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُون**﴾ (الأعراف: 189-190). هذه الآيات نَسَبَ الله فيها الشرك إلى آدم

وحواء مريداً بهما أولادهما، لا أنهما أشركا نعوذ بالله من ذلك. وإنما نسبه إليهما لأن الحديث هنا كان عن بداية الخلق الذي حصل بآدم وحواء، فكانا أقرب إلى الله لهذا الخطاب، لذلك نسبه إليهما على إطلاق السبب وإرادة المسبَّب.[48] وهو كما نسب النبي ﷺ "القوم" إلى عائشة فيما يرويه الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الجدر – تعني الحجر – أمن البيت هو؟ قال: «نعم». قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة». قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا، ويمنعوا من شاؤوا، ولولا قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأنا أخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض».[49] فالقوم الذين نسبهم النبي ﷺ إلى عائشة هم قومه أيضاً، ولكن لما كانت عائشة هي السائلة والقريبة منه والمخاطَبة له مباشرة، نسبهم إليها.

ولما كان ذلك الخطاب شاملاً لآدم وحواء معاً جاء ذكرُ هذه القصةِ في آيات أخرى منسوباً فيها كلُّ هذه إليهما جميعاً، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ (البقرة: 35–37). فبدأ الله تعالى في هذه الآيات الكلام بآدم وحواء معاً، ثم ختمه بتوبة آدم فحسب، ولا ذكْرَ فيه لتوبة حواء. ولولا جاء ذكر توبتها في آية أخرى لقال هؤلاء: إنها لم تتب كما قالوا هنا: إنها لم تخن. اقرأ الآيات التالية:

---

[48]انظر ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **التبيان في أقسام القرآن**، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ص163.

[49]أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج2، ص573، رقم1507؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ج2، ص968، رقم1333.

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ. قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الأعراف: 19–23). هنا بدأ الله الكلام بهما، وختم بتوبتهما معاً. مما دل على أن العصيان حصل منهما. ولكنَّ كون الاثنين قد زلا ووقع منهما الخطأ — كما في القرآن – لا ينفي أن يكون أحدهما هو المشجِّع والمبادِر إلى الخطأ — كما في الحديث –؛ لأن سكوت القرآن عن شيء لا يدل على عدم وجوده.

ثانياً: أحاديث أخرى –ولو ضعيفة– تؤيد خيانة حواء، منها:

1– ما أخرجه الدارقطني (ومن طريقه الديلمي) عن محمد بن جعفر بن رميس، عن أبي علقمة الفروي، عن يحيى بن عبد الملك الهديري، عن أبيه، عن جده محرز بن عبد الله، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعث جبريل إلى حواء حين دميت، فنادت ربها: جاء مني دم لا أعرفه. فناداها: لأدمينك وذريتك، ولأجعلنه لك كفارةً وطهوراً».[50] أي كفارةً وطهوراً لما ارتكبت من معصية الأكل من الشجرة وتحريضها زوجها عليه.

قال الدارقطني: "غريب من حديث سعيد عن عمر، تفرد به محرز بن عبد الله الهديري، وعنه أبو علقمة الفروي".[51] وكذلك حكاه النووي عنه.[52] وقال الألباني:

---

[50] أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في **أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني**، لابن القيسراني، أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي، تحقيق محمود حسن نصار، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)، ج1، ص107، رقم98، والديلمي في مسند الفردوس كما تسديد القوس لابن حجر، 87/1/1 كما في **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** للألباني، محمد ناصر الدين، (الرياض: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت)، ج5، ص192، رقم2073.

[51] ابن القيسراني، **أطراف الغرائب والأفراد**، ج1، ص107، رقم98.

"إسناده ضعيف؛ يحيى بن عبد الملك الهديري عن أبيه عن جده محرز بن عبد الله لم أعرفهم. وأبو علقمة الفروي هو الصغير، واسمه عبد الله بن هارون بن موسى بن أبي علقمة الكبير عبد الله بن محمد. قال الذهبي: "منكر الحديث" قاله أبو أحمد الحاكم، وقال ابن أبي حاتم: تكلم فيه". وقال ابن حبان: يقلب الأخبار عن الثقات".[53] قلت: وهو كما قال الشيخ الألباني.[54]

2- ومنها ما أخرجه أبو طالب مكي المؤذن والخطيب والبيهقي وابن الجوزي عن أبي جعفر محمد بن الوليد بن أبان، حدثنا إبراهيم بن صرمة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافرا فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكن أزواجي عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً، وكانت زوجته عوناً له على خطيئته».[55]

قال الألباني: "وهذا إسناد موضوع، آفته أبو جعفر هذا، وهو القلانسي البغدادي، قال ابن عدي: "كان يضع الحديث، وقال الحسين بن أبي معشر [وهو أبو عروبة]:

---

[52] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي الدمشقي، **تهذيب الأسماء واللغات**، (بيروت: دار الفكر، 1996م)، ج3، ص236.

[53] الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج5، ص192، رقم2073.

[54] انظر لذلك: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، **ميزان الاعتدال**، تحقيق علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ط، د. ت)، ج4، ص553، رقم10432؛ وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **المجروحين**، تحقيق محمود إبراهيم زايد، (حلب: دار الوعي، د. ط، د. ت)، ج2، ص45، رقم578.

[55] أخرجه أبو طالب مكي المؤذن في "حديثه" كما في **سلسلة الأحاديث الضعيفة** للألباني، ج3، ص220، رقم1100؛ والخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، في **تاريخ بغداد**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج2، ص126؛ والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، في **دلائل النبوة**، (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج6، ص117، رقم2242؛ وابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن عبد الله القرشي البغدادي الحنبلي، في **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق خليل الميس، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ)، ج1، ص181، رقم280.

كذاب...". وإبراهيم بن صرمة ضعفه الدارقطني وغيره. وقال ابن عدي: "عامة حديثه منكر المتن والسند". وقال أبو حاتم: "شيخ". وقال ابن معين: "كذاب خبيث".[56]

على الرغم من أن هذا الحديث قد حُكِمَ عليه بالوضع، ولكني ذكرته استئناساً، لا استدلالاً؛ لأن وجود وضَّاعٍ في سندِ حديثٍ علامةٌ لوضعه، وليس حكماً مؤكداً لوضعه. والله أعلم بالصواب.

3- ومنها ما هو موقوف على ابن عباس أخرجه أحمد بن منيع؛ وابن أبي الدنيا (ومن طريقه الحاكم) حدثنا عمرو بن محمد الناقد؛ وأبو الشيخ من طريق أبي الربيع سليمان بن داود الزهراني؛ والبيهقي من طريق يحيى بن يحيى؛ أربعتهم قالوا: حدثنا عباد بن العوام، ثنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: "قال الله تبارك وتعالى لآدم: يا آدم! ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: فاعتل آدم، فقال: يا رب! زيَّنَتْه لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحملها إلا كرها، ولا تضعها إلا كرها، ودميتها في كل شهر مرتين، قال: فرنت حواء عند ذلك فقيل لها: عليك الرنة وعلى بناتك". واللفظ لأحمد بن منيع.[57] وزاد ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والبيهقي في أوله: "لما أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها". وعندهما "ما حملك على أن عصيتني؟" بدل "ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟" وعند البيهقي "يا آدم! ما حملك على ما صنعت". والباقي سواء عند الجميع. وقال البيهقي: "هكذا جاء موقوفا".

---

[56] الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج3، ص220، رقم1100. وانظر: ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج2، ص106، رقم304؛ وابن عدي، **الكامل في الضعفاء**، ج6، ص285، رقم1771؛ والذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج1، ص38، رقم115.

[57] أخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية على الكتب الستة ومسند أحمد** لابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق غنيم عباس وياسر إبراهيم، (الرياض: دار الوطن، ومصر: مؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت)، ج1، ص273 رقم215؛ وابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، في **الرقة والبكاء**، (بيروت: دار ابن حزم، د. ط، د. ت)، ص216، رقم307 (ومن طريقه الحاكم في **المستدرك**، ج2، ص413 رقم3437)؛ وأبو الشيخ، في **العظمة**، ج5، ص1583؛ والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، في **شعب الإيمان**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ)، ج5، ص64 رقم5790.

قال الحاكم: "صحيح الإسناد، و لم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وصححه ابن حجر أيضاً قال: "وروى الحاكم وابن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس: أن ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن أهبطت من الجنة".[58] وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت926هـ): "وروى الحاكم أن ابتداء الحيض كان على حواء حين أهبطت من الجنة لما عصت ربها وكسرت شجرة الحنطة فدميت فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي! لأدمينك كما أدميتها".[59]

ثالثاً: رواية إسرائيلية تؤيد خيانةَ حواء، أخرج عبد الرزاق عن شيخه عمر بن عبد الرحمن بن درية، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: "لما أسكن الله تعالى آدم الجنة وزوجته، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان ثمر تأكلها الملائكة لخلدهم، وهي الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت الحية لها أربع قوائم، كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها! وأطيب طعمها! وأحسن لونها!. فأخذها حواء فأكلت منها، ثم ذهبت إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها! وأطيب طعمها! وأحسن لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوءاتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم! أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنةً تتحول ثمارها شوكا. قال: و لم تكن في الجنة ولا في الأرض شجرتان أفضل من الطلح والسدر، ثم قال: يا حواء! أنت التي غررت عبدي، إنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك، حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا

---

[58] ابن حجر، **فتح الباري**، ج1، ص400.

[59] زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، **حاشية الجمل على المنهج**، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج2، ص385.

يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيثما لقيك شدخ رأسك. قال عمر: فقيل لوهب: فهل كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء".[60]

قلت: رجاله ما بين ثقة وصدوق. وهم:

راوي التفسير عن عبد الرزاق، وهو الحسن بن يحيى بن الجعد العبدي أبو علي بن أبي الربيع الجرجاني نزيل بغداد، صدوق.[61]

وعبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني، ثقة حافظ، وأخرج له الجماعة.[62]

وعمر بن عبد الرحمن بن درية هو عمر بن عبد الرحمن بن مهرب، ويعرف بابن الدرية. وثَّقه يحيى بن معين. وقال ابن حبان: "كان شيخاً صالحاً".[63]

ووهب بن منبه وهو ابن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناوي، تابعي ثقة، ويقول: قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، وأخرج له الشيخان.[64] وبذلك ظنَّ الشيخ الغزالي وغيره أن هذا الحديث دُسَّ في حديث النبي ﷺ من الإسرائيليات، لذلك رفض قبوله.

---

[60] أخرجه عبد الرزاق في **تفسيره**، ج2، ص226.

[61] ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد،، 1406هـ/1986م)، ص164، رقم1290.

[62] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص354.، رقم4064.

[63] أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **العلل ومعرفة الرجال**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، (بيروت: المكتب الإسلامي، والرياض: دار الخاني، 1408هـ/1988م)، ج2، ص396، رقم2771؛ والبخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، **التاريخ الكبير**، تحقيق السيد هاشم الندوي، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج6، ص173، رقم2075؛ وابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي، **الجرح والتعديل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، صورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن في الهند1، 1271هـ/1952م)، ج6، ص121، رقم685؛ وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **مشاهير علماء الأمصار**، تحقيق م. فلايشهمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1959م)، ص192، رقم1542.

[64] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص585، رقم7485؛ **وتهذيب التهذيب**، (بيروت: دار الفكر، 1404هـ/1984م)، ج11، ص147، رقم288.

قلت: ورود شيء في الإسرائيليات لا يعني أنه غلط لا محالة، ويستحق الرفض المطلق. قال الإمام ابن كثير: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه. والثالث ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم".[65]

وقال في مقدمة كتابه "البداية والنهاية": "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدَّق ولا يكذَّب، مما فيه بسطٌ لمختصر عندنا، أو تسميةٌ لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما صح نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه".[66]

وهذه الرواية الإسرائيلية موافقة لما جاء في التوراة. يقول ابن كثير: "وفي كتاب التوراة التي بأيدي أهل الكتاب: أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها، فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام، وليس فيها ذكر لإبليس، فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فوصلا من ورق التين، وعملا مآزر".[67] وقال أيضاً: "وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حدَّثته على أكلها. والله أعلم. وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري".[68]

رابعاً: وهناك رواية موقوفة في حكم المرفوع تؤيدها، أخرجها الطبري عن شيخه موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد القناد، قال: حدثنا

---

[65] انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار الفكر، د. ط، 1401هـ)، ج1، ص5.

[66] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، (بيروت: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت)، ج1، ص6.

[67] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (عابدين: دار الكتب الحديثة، 1388هـ/1968م)، ص22. والمآزر: جمع مئزر، وهو الإزار. ابن الأثير، **النهاية في غريب الأثر**، ج1، ص94.

[68] ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص21.

أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك غزوان الغفاري، وعن أبي صالح باذان عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:35) أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة فأتى الحية – وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب –، فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فقمها،[69] فمرت الحية على الخزنة، فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر، فكلمه من فقمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ (طه:120)؟ يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله عز وجل أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً؟ وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم! كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة".[70]

رجاله بين ثقة وصدوق وصدوق يهم. وهم: موسى بن هارون وهو ابن عمرو أبو عيسى الطوسي البغدادي، وثقه الدارقطني والخطيب.[71] وعمرو بن حماد هو ابن طلحة

---

[69] الفُقْم –بالضم والفتح–: اللَّحْى. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الأثر**، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م)، ج3، ص902.

[70] ابن جرير الطبري، **التفسير**، ج1، ص272. ونسبه السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الشافعي، في **الدر المنثور في التأويل بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر، د. ط، 1993م)، ج1، ص81 إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

[71] الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **سؤالات الحاكم الدارقطنيَّ**، تحقيق د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، (الرياض: مكتبة المعارف، 1404هـ/1984م)، ص156، رقم229؛ والخطيب، **تاريخ بغداد**، ج13، ص48، رقم7015.

القناد أبو محمد الكوفي صدوق.[72] وأسباط بن نصر الهمْداني أبو يوسف، صدوق كثير الخطأ يغرب.[73] وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي صدوق يهم، من رجال مسلم.[74] وأبو مالك هو غزوان الغفاري، الكوفي مشهور بكنيته، ثقة.[75] وأبو صالح هو ذكوان أو باذان، السمان الزيات المدني، ثقة ثبت.[76] ومرة هو ابن شراحيل الهمْداني أبو إسماعيل الكوفي، ثقة عابد.[77]

ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، وهو معروف برواية الإسرائيليات كما نبه عليه ابن كثير في كثير من المواضع في تفسيره.[78]

ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، ومناقبه جمة، وأمره عمر على الكوفة، وهو ليس بمعروف برواية الإسرائيليات، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة.[79] ناس من أصحاب النبي ﷺ. اتضح من تراجم رواة هذه الرواية الموقوفة أن البعض منهم ثقات، والبعض الآخر صدوق. غير أسباط بن نصر الهمداني فاختلف أئمة الجرح والتعديل فيه، فقال ابن معين في رواية: "ثقة"،[80] واعتمده ابن شاهين في

---

[72] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص420، رقم5014.

[73] **المصدر السابق**، ص98، رقم321.

[74] **المصدر السابق**، ص108، رقم463.

[75] **المصدر السابق**، ص442، رقم5354.

[76] **المصدر السابق**، ص203، رقم1841.

[77] **المصدر السابق**، ص525، رقم6562.

[78] **المصدر السابق**، ص309، رقم3409؛ والسيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الشافعي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق خليل محمد العربي، (القاهرة: مكتبة الفاروق الحديثة، 1415هـ)، ج2، ص538.

[79] ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص323، رقم3613.

[80] ابن معين، يحيى بن معين أبو زكريا، **التاريخ برواية الدوري**، تحقيق أحمد نور سيف، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، 1399هـ/1979م) ج3، ص266، رقم1251.

ثقاته.[81] وقال البخاري في "التاريخ الأوسط": صدوق.[82] وذكره ابن حبان في الثقات،[83] وابن خلفون أيضاً في الثقات.[84] وأخرج له مسلم. هؤلاء وثقوه، وأما الذين تكلموا فيه فقال أبو نعيم: "أحاديثه عاميةٌ، سقطٌ، مقلوبةُ الأسانيد".[85] وتوقف فيه أحمد.[86] وقال النسائي: "ليس بالقوي".[87] وقال الساجي في الضعفاء: "روى أحاديث لا يتابع عليها عن سماك بن حرب".[88] وقال ابن معين مرة: «ليس بشيء».[89] وأنكر أبو زرعة على مسلم إخراج حديث أسباط بن نصر هذا.[90] ونظراً لهذه التوثيقات والتجريحات قال ابن حجر: "صدوق كثير الخطأ يغرب" كما تقدم.

ولكن هناك حديث أخرجه ابن منده بهذا السند وقال: "أخرج مسلم بن الحجاج عن مرة، وعن السدي، وعمرو بن حماد، وأسباط بن نصر في كتابه، وهذا إسناد ثابت".[91] إلا أن الشيخ الألباني قال: "كذا قال! وأسباط مختلف فيه، وقال الحافظ في "التقريب": (صدوق كثير الخطأ، يغرب) فهو إسناد ضعيف، مع كونه موقوفاً، فكأنه من الإسرائيليات".[92]

---

[81]ابن شاهين، عمر بن أحمد أبو حفص الواعظ، **تاريخ أسماء الثقات**، تحقيق صبحي السامرائي، (الكويت: الدار السلفية، 1404هـ/1984م)، ص43، رقم101.

[82]مغلطاي بن قليج علاء الدين الحنفي، **إكمال تهذيب الكمال**، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن محمد وأبي محمد أسامة بن إبراهيم، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1422هـ/2001 م)، ج2، ص64، رقم372.

[83]ابن حبان، **الثقات**، ج6، ص85، رقم6834.

[84]مغلطاي، **إكمال تهذيب الكمال**، ج2، ص64، رقم372.

[85]ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج2، ص332، رقم1261.

[86]المصدر السابق، ج2، ص332، رقم1261.

[87]ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ج1، ص185، رقم396.

[88]**المصدر السابق**.

[89]**المصدر السابق**.

[90]**المصدر السابق**.

[91]ابن منده، محمد بن إسحاق بن منده أبو عبد الله، **التوحيد**، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي وزميله، (السعودية: دار الفضيلة، 1428هـ- 2008م)، ص101، رقم78.

[92]الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، (الرياض: دار المعارف، 1412هـ/1992م)، ج13، ص1139، رقم6499.

وأما ابن كثير فقال في هذا السند على وجه الخصوص: "فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوا من بعض الكتب المتقدمة".[93]

قلت: أسباط بن نصر لم يخطئ في روايته هذا الموقوف. أما كونه موقوفا على أولئك الصحابة فلا يضر لأن البعض منهم ليسوا معروفين برواية الإسرائيليات، فهو في حكم المرفوع. وأما كونه من الإسرائيليات فيعني أن لا نعتمد على كل ما ورد فيها، وإنما نعتمد منها على ما وافقه القرآن أو الحديث المرفوع أو ما في حكمه، أو الإجماع. وحديثنا أيد روايةَ مبادرةِ حواء بالأكل من الشجرة، وحثِّها آدم عليه.

خامساً: أن البعض من الرواية الموقوفة معقول وواقع: وبالإضافة إلى ما تقدم من تصديق الحديث الصحيح مبادرة حواء للأكل وتحريضها آدم عليه، أن البعض منها معقول المعنى وواقع الوجود أيضاً؛ لأن كل ما ورد في هذه الرواية الموقوفة وفي موقوف ابن عباس السابق من دخول إبليس في فم الحية، ومن ثَمَّ دخوله الجنة، وعدم تنبُّه خزنة الجنة له، وكلامه من فقمها آدمَ، وعدم مبالاة آدم بكلامه، ثم خروجه إليه وقوله لآدم: ﴿**يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ (طه:120)، وحلفه لآدم وحواء بالله أني لكما لمن الناصحين، وإباء آدم الأكل منها، ثم تقدمه إلى حواء وإقناعها بالأكل، ثم حصول الأكل من حواء، ثم قولها لآدم: يا آدم! كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرني، ثم أكل آدم، ومن ثم بدوُّ سوآتهما، وخصفهما عليهما من ورق الجنة، كل هذا معقول عقلاً ووقوعاً؛ لأن وسوسة الشيطان لهما، وقوله لهما: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾، وحلفه لهما: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ (الأعراف:21) لا أحد ينكر كل هذا؛ لأنه ورد في القرآن. وهذا يدل صراحةً على أن كل هذا حصل في الجنة وهما كانا وجهاً لوجه، وهذا لا يمكن إلا على فرضية دخول إبليس في الجنة حيث آدم وحواء، وتكلمه معهما ومقاسمته إياهما مباشرةً، ولكن كيف أمكن له ذلك؟ هذه فراغات في القرآن، لا يمكن ملؤها إلا بالوحي، وقد جاءت هذه الرواية الموقوفة سادَّةً بعض تلك الفراغات بجد

---

[93] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص112.

معقولية، مما دل على أنه ليس أمراً يقال بالاجتهاد والرأي. فإذا قبلنا هذا كله فلماذا لا نقبل أن حواء كانت البادئة والمشجعة!؟. وأي محظور يترتب عليه!؟.

المبحث الثالث: حقائق لا يمكن إنكارها

هناك حقائق عديدة لا يمكن إنكارها، نتحدث عنها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: خروج آدم وحواء من الجنة كان مقدَّراً قبل خلقهما

ذلك لأن الله خلق آدم لمهمةٍ في الأرض حدَّدها له من قبل أن يخلقه كما صرَّح به القرآن. وهي المهمة التي تطلعت إليها الملائكة، وحسبوا أنهم أولى بها من آدم، وهذا ما نطقت به آيات سورة البقرة. يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ (البقرة: 30-33).[94]

لذلك عند ما التقى آدم وموسى عليهما السلام في عالم الغيب، وحَمَّل موسى آدمَ ما تعانيه البشرية من تعب ونصب، وشقاء وبلاء بسبب أكله من الشجرة، حجَّ آدمُ موسى، وأفحمه بأن هذا كان أمراً رتبه القدر الإلهي قبل أن يُخلَق بأربعين سنة ليقوم بعمارة الأرض، وبأن موسى يعرف ذلك؛ لأنه يجده مكتوباً عنده في التوراة. اقرأ معي الأحاديث التالية:

أ- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خيَّبْتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله

---

[94] انظر، القرضاوي، يوسف، **فتاوى معاصرة**، (بيروت: دار أولي النهى، د. ط، د. ت)، ج2، ص249- 251.

بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى».[95]

ب- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: أنت خليفة الله، بيده أسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، فأخرجت ذريتك من الجنة وأشقيتهم؟ فقال آدم عليه السلام: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ورسالته، تلومني في شيء وجدتَه قد قُدِّر عليَّ قبل أن أخلق؟ قال: فحج آدم موسى».[96]

ج- عن جُنْدَبَ البَجَلي قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، وفعلت ما فعلت فأخرجت ولدك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي بعثك الله برسالته، وكلمك، وآتاك التوراة، وقربك نجيا؟ أنا أَقْدَمُ أم الذِّكْرُ؟ فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى».[97]

---

[95] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ج6، ص2439، رقم6240؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج4، ص2042، رقم2652.

[96] أخرجه عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي في **المنتخب من مسنده**، تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، (القاهرة: مكتبة السنة، 1408هـ/1988م) - واللفظ له -، ص295، رقم949؛ وابن أبي شيبة في مسنده كما في **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري**، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق سعدي الهاشمي، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د. ط، د. ت)، ج1، ص36، رقم1/199، والحارث بن محمد بن أبي أسامة **كما في الإتحاف**، ج1، ص37، رقم3/199، وأبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، في **مسنده**، تحقيق حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، 1404هـ/1984م)، ج2، ص414، رقم1204. وقال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح".

[97] أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، في **السنن الكبرى**، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1991م)، ج6، ص394، رقم11318؛ والفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض، في **القدر**، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، (الرياض: أضواء السلف، 1997م)، ص98، رقم120؛ وأبو يعلي في **مسنده**، ج3، ص90، رقم1521؛ والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، في **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم

وهذه الأحاديث تفيدنا "أن إهباط آدم وذريته إلى الأرض أمر سبق به القدر الأعلى، وسطره القلم الإلهي في أم الكتاب، ليقوم هذا النوع المكلف المبتلى المختار برسالته فوق هذا الكوكب، كما أراده الله، فكان لا بد أن يقع".[98] وأفادت أيضاً أن موسى وجَّه اللوم إلى آدم، ولم يوجِّهه إلى حواء. ولكن نقول فيه كما قلنا في توجيه الآيات التي نسب فيها العصيان إلى آدم فقط.

المطلب الثاني: منع الأكل من الشجرة إنما هو تدبيرٌ إلهيٌّ لإخراج آدم وحواء من الجنة

لما كان آدم –بنص القرآن– خليفة الله المباشر في الأرض والعامر لها، ومن البديهي أن الخلافة وعمارة الأرض لا تتم بوحده إن لم تكن بجنبه زوجته، لذلك خلق الله منه زوجته حواء، وأسكنهما في الجنة إكراماً لهما وتفضُّلاً عليهما، ومن المعلوم أن أمر الخلافة وعمارة الأرض لا يتمان ببقائهما في الجنة، ولا بد له من خروجهما منها، وهبوطهما إلى الأرض، ولكن كيف يتم ذلك بعد إسكانهما في الجنة؟ هل يخرجهما الله تعالى بدون سبب، فيكونَ ظلماً في حقهما، والله لا يظلم أحداً، فأخذ منهما ميثاقاً ممثَّلاً في المنع عن الأكل من الشجرة، وهو يعلم أنهما سوف يعصيان ولا يفيان بهذا الميثاق؛ لأنهما خُلِقَا من خميرتي الطاعة والعصيان، أحدِ الأمور التي فُضِّل البشر بها على الملائكة عند جمهور أهل السنة والجماعة. وهذا الميثاق أخذه الله منهما كتدبير لإخراجهما من الجنة، تماماً مثل تدبيره تعالى لاستبقاء أخي يوسف عنده، التي عبَّر الله عنه بالكيد. قال تعالى: ﴿**فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء**

والحكم، ط2، 1404هـ/1983م)، ج2، ص160، رقم1663؛ والدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، في **الرد على الجهمية**، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، (الكويت: دار ابن الأثير، ط2، 1995م)، ص163، رقم291؛ والآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، في **الشريعة**، تحقيق محمد حامد الفقي، (مصر: السنة المحمدية ومؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت)، ص192؛ واللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، (الرياض: دار طيبة، 1402هـ)، ج4، ص584، رقم1036. وصححه حسين سليم أسد.

[98] انظر القرضاوي، **فتاوى معاصرة**، ج2، ص249– 251.

أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76).[99]

ثبت مما تقدم أن آدم خُلِقَ خليفةً لله في الأرض، وخلقت حواء ليسكن إليها آدم. وأما إسكانهما في الجنة فكان مؤقتاً، وكان خروجهما منها لا بد منه، بتدبير المنع عن الأكل من الشجرة، وتمكين الشيطان من الوسوسة إليهما بالأكل منها، وتمكينه إياه من إقناع حواء به، وحثها آدم على الأكل منها، ومن ثم خروجهما منها، كل هذه الأمور كان قدراً مقدوراً، وقضاءً مقضياً.

المطلب الثالث: رأس المشكلة هو اتخاذ الناس خيانة حواء تكأةً للحملة على المرأة والنيل من مكانتها

فرأس المشكلة ليس هذا الحديث أو صحته، ولا أن حواء كانت بادئة للأكل، ومحرِّضةً لآدم على الأكل، وإنما المشكلة في أن الناس فهموا خطأً أن المرأة هي السبب المباشر لكل الخرابات في الدنيا، بإخراجها نفسها وآدم من الجنة، و لم يفهموا أو فهموا ولكن تجاهلوا، أن وقوع تلك الزلة من حواء كان قضاءً وقدراً، ومقدَّراً قبل خلقهما؛ إذ لولا إرادة الله تعالى لذلك، لما حصل ذلك أبداً. لذلك لا يحسنون صنعاً الذين يرتِّبون على هذا الأمر النتائج التالية: أن أمنا حواء هي كانت سبباً في حرماننا من الجنة، وشقائنا نحن ذرية آدم بدنيانا هذه التي نعاني بؤسها وويلاتها، ومن ثم يتخذون هذه المقولة تكأةً للحملة على المرأة، والنيل من مكانتها، وإهانتها في كل مناسبة، على أنها وراء كل مصيبة حدثت في الأولين، أو تحدث في الآخرين.

المطلب الرابع: هناك جرائمُ ارتكبها الرجال أولاً

إن كان هؤلاء الناس مصرين على ترتيب هذه النتائج على النساء جميعاً بحجة فعلة حواء تلك، فهناك جرائمُ أوَّلُ من ارتكبها الرجال، وقرَّر الله عليها أشد العقاب، وهي ما يلي:

---

[99] انظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر، **التحرير والتنوير**، (تونس: دار التونسية للنشر، د. ط، 1984م)، ج7، ص300.

1- الجحود: أول من ارتكبه آدم. عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم».[100] وقريب من هذا الحديث ما تقدمت الإشارة إليه في كلام الحافظ ابن حجر، وهو ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ... قال: هذا ابنك داود، قد كتبت له عمر أربعين سنة. قال: يا رب! زده في عمره. قال: ذاك الذي كتبت له. قال: أي رب! فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك. قال: ثم أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أُهْبِطَ منها، فكان آدم يَعُدُّ لنفسه، قال: فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عَجِلْتَ قد كُتِبَ لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، قال: فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود».[101] ومثله حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون».[102]

لاحظوا كيف أن النبي ﷺ علق على تعامل آدم مع ملك الموت، فوصف بأنه «جحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته». وكذلك وصف كل بني آدم بالخطَّاء لأن أباهم كان خطَّاءً، فهل ينظر إلى الرجال نظرة فيها هذا الشعور والإحساس بأن الرجال جحود وذليلون مهانون؛ لأن أباهم آدم جحد وأخطأ!؟. فإن لم يكن ذلك في الرجال، فلماذا في النساء ذلك الشعور والحضور في كل مكان، وفي كل مناسبة.

2- والقتل: أول من ارتكبه ابن آدم قابيل بنص القرآن: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (المائدة: 30). وبنص الحديث قال عبد الله

---

[100] أخرجه أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، في **مسنده**، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، د. ت)، ص350، رقم2692؛ وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، في **مصنفه**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ)، ج7، ص266، رقم35944؛ وأحمد في **مسنده**، ج1، ص251، رقم2270؛ كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس. وهو ضعيف بابن جدعان، وحسن لغيره بما مر من شاهده عند الترمذي.

[101] أخرجه الترمذي في **سننه**، كتاب التفسير، باب94، ج5، ص267 رقم3076. وقال: "حسن صحيح".

[102] أخرجه ابن ماجه في **سننه**، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ، ج2، ص1420، رقم4251. وحسنه الألباني.

بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل».[103]

3- وقطع الطريق في الإسلام أول من ارتكبه رجل. عن عبد الله بن مسعود يحدث أن أول من قطع في الإسلام أو من المسلمين رجل من الأنصار.[104]

4- وتسييب السوائب وعبادة الأصنام: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمرا يجر قصبه، وهو أول من سيَّب السوائب».[105] وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن أول من سيب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وأني رأيته يجر أمعاءه في النار».[106] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من سيب السوائب، وبحر البحيرة، وغيَّر دين إبراهيم عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف بن خزاعة».[107]

5- وتغيير سنة رسول الله ﷺ: عن أبي ذر، أنه قال ليزيد بن أبي سفيان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من يغير سنتي رجل من بني أمية».[108]

---

[103] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إثم من دعا إلى ضلالة، ج6، ص2669، رقم6890؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب القسامة، باب بيان إثم من سن القتل، ج3، ص1303، رقم1677.

[104] أخرجه ابن أبي شيبة في **مصنفه**، ج7، ص256، رقم35832 وابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني، في **الأوائل**، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، بدون رقم الطبعة، 1405هـ)، ص35، رقم34 وأحمد في **مسنده**، ج1، ص419، رقم3977 والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، في **الأوائل**، تحقيق محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، (بيروت: مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، 1403هـ)، ص61، رقم33 كلهم من طريق أبي الحارث يحيى بن عبد الله الجابر التيمي، عن أبي ماجد الحنفي، عن عبد الله. قال شعيب الأرنؤوط: "حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن عبد الله الجابر، ولجهالة أبي الماجد".

[105] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، ج4، ص1691، رقم4348.

[106] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج1، ص446، رقم4258 عن عمرو بن مجمع، ثنا إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود. قال شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عمرو بن مجمع". وقال الألباني، محمد ناصر الدين، في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (الرياض: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت)، ج2، ص421، رقم1677: "إسناده لا بأس به في الشواهد".

[107] أخرجه الطبراني في **الأوائل**، ص46، رقم19. إسناده حسن.

[108] أخرجه ابن أبي عاصم في **الأوائل**، ص62، رقم61. قال الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: ج4، ص248، رقم1749: "إسناده حسن".

6- ونفي القدر والفاعلية الإلهية: وأول من قال من المسلمين بنفي القدر والفاعلية الإلهية هو الرجل معبد الجهني.[109]

فلماذا لا يرتبون مثل تلك النتائج على كل الرجال، ويقولون: إن الرجال هم السبب لها، فأنزلوا علينا تلك العقابات، وتسببوا لشقائنا، ومن ثم يتخذونها تكأةً للحملة على الرجال، والنيل من مكانتهم، وإهانتهم في كل مناسبة على أنهم وراء كل مصيبة حدثت في الأولين، أو تحدث في الآخرين. كما فعلوا مع النساء!!؟.

المطلب الخامس: أول من أسلم على الإطلاق هي خديجة

وفي جانب آخر: إذا أجازوا لأنفسهم تحميل الخيانة نساءَ العالم كلهن بخيانة حواء، فعلى عكس ذلك يجب أن يُمدَحن ويُحَمَّلن فضيلة سبقهن الرجال إلى الإسلام؛ لأن أول من أسلم هي خديجة رضي الله عنها باتفاق الأئمة. قال البغوي: "واختلفوا في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة، مع اتفاقهم على أنها أول من آمن برسول الله ﷺ".[110] وقال القرطبي: "ادعى الثعلبي المفسر اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة".[111] وإليكم بعض الروايات فيه:

1- أخرج ابن أبي عاصم عن محمد بن مرزوق؛ والطبراني عن العباس بن الفضل الأسفاطي؛ كلاهما قال: ثنا عبد العزيز بن الخطاب، ثنا علي بن غراب، ثنا يوسف بن صهيب، عن ابن بريدة، عن أبيه، "أن خديجة أول من أسلم مع رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب".[112]

---

[109] أخرجه مسلم في مقدمة **صحيحه**، ج1، ص36، رقم8.

[110] البغوي الفراء، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، تحقيق خالد العك ومروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط2، 1407هـ/1987م)، ج1، ص87.

[111] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ)، ج8، ص215.

[112] أخرجه ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، في **الآحاد والمثاني**، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، (الرياض: دار الراية، 1411هـ/1991م)، ج1، ص148، رقم177؛ والطبراني في **المعجم الكبير**، ج22، ص452، رقم1102. وإسناده حسن.

2- وأخرج عبد الله بن أحمد فقال: حدثنا عبد الله بن صندل، قثنا عبد العزيز الدراوردي، عن عمر بن عبد الله مولى غفرة، عن محمد بن كعب: "إن أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله خديجة، وأول رجلين أسلما أبو بكر الصديق وعلي، وأن أبا بكر أول من أظهر إسلامه".[113]

3- وأوَّلُ شهيدٍ في الإسلام امرأةٌ، وهي سُمَيَّة أم عمَّار رضي الله عنهما.[114]

خاتمة البحث

تناول البحث بيان ما في حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» من المشكلة، حيث اتُّخِذَ هذا الحديثُ في هذا العصر ذريعةً لتشويه صورة الإسلام في نظر العالم عامة، وفي نظر المرأة خاصة، واستعمله الجهلة من المسلمين سوطاً على المرأة، باعتبارها في نظرهم سبباً لإخراج آدم من الجنة. فتناوله البحث من ثلاثة جوانب: جانب ثبوته فتوصَّل إلى أنه صحيح. وجانب الفهم، فتوصَّل إلى أن هذا الحديث معناه صحيح، ولا يمكن أن يكون غلطاً أو كذباً يتهم به الإسلام، أو نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام. والجانب الثالث هو جانب الإشكاليات وأسبابها حوله، فاكتشف البحث أن في هذا الحديث إشكاليتين، وهما:

الإشكالية الأولى: أن الحديث مخالف للقرآن من جانب.

والإشكالية الثانية: أنه موافق لما ورد في الإسرائيليات من جانب آخر.

وتوصل البحث لحل هذه الإشكالية إلى أن النبي ﷺ لم يُرِد في هذا الشطر بيان خيانة حواء كفردٍ أنثويٍّ معيَّنٍ، بل أراد فيه بيان طبيعة النساء أنها واحدة، وأن استعدادهن واحد في الخلقة والقابلية، لا فرق بين حواء وغيرها من اللائي جئن بعدها، وقد خُلِقَت حواءُ - وهي أم النساء - قابلةً للخيانة والخطأ، فخُلِقَت بناتُها مثلَها في ذلك الاستعداد والقبول. أو نحل هذه الإشكالية بطريقة أخرى فنقول: إن خيانة حواء حصلت

---

[113] أخرجه عبد الله بن أحمد، في زوائده على **فضائل الصحابة لأحمد**، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1403هـ/1983م)، ج1، ص226، رقم268. وإسناده ضعيف.

[114] انظر ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، 1412هـ)، ج7، ص712.

فعلاً، ولكنه ليس بمخالف للقرآن، بل القرآن ساكت عن بيان من بدأ، آدم أمْ حواء؟ فجاء هذا الحديث بياناً له، لا مخالفاً له. وأما كونه موافقاً للإسرائيليات، فهذا لا يمنعنا — حسب ما صرح به العلماء المعتمدون – من قبولها؛ لأن الحديث جاء مؤيداً لما فيها. ثم إن خيانة حواء كانت مقدَّرةً، واختير المنع عن الأكل من الشجرة كتدبير لإخراجهما من الجنة وإنزالهما إلى الأرض لتكميل مهمة الخلافة.

وتوصَّل البحث في آخر المطاف إلى أن المشكلة الأساسية ليست في صحة هذا الحديث، وإنما المشكلة في فهم الناس؛ لأنهم فهموا خطأً أن المرأة هي السبب المباشر لكل الخرابات في الدنيا، فيجب أن يصحح هذا الفهم، لا أن يضعَّف الحديث.

هذا جهد مقل أردت به أداء جزءٍ من الواجبات علينا تجاه الحديث النبوي الشريف من الدفاع عنه، كما أتوقع من كل من لديه حمية على دينه، وغيرة على حديث رسوله ﷺ أن يثري المكتبة الإسلامية بمثل هذه الدراسة عن الأحاديث الأخرى التي يتعرض لها غير المتخصصين في الحديث للنقد السلبي فحسب، وأنا إن وفقت في هذه الدراسة لتقديم شيء مفيد فمن الله، وإن كان الآخر فمن نفسي، وأرجو من الله العلي القدير التسامح عني. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.